سيناء المباركة

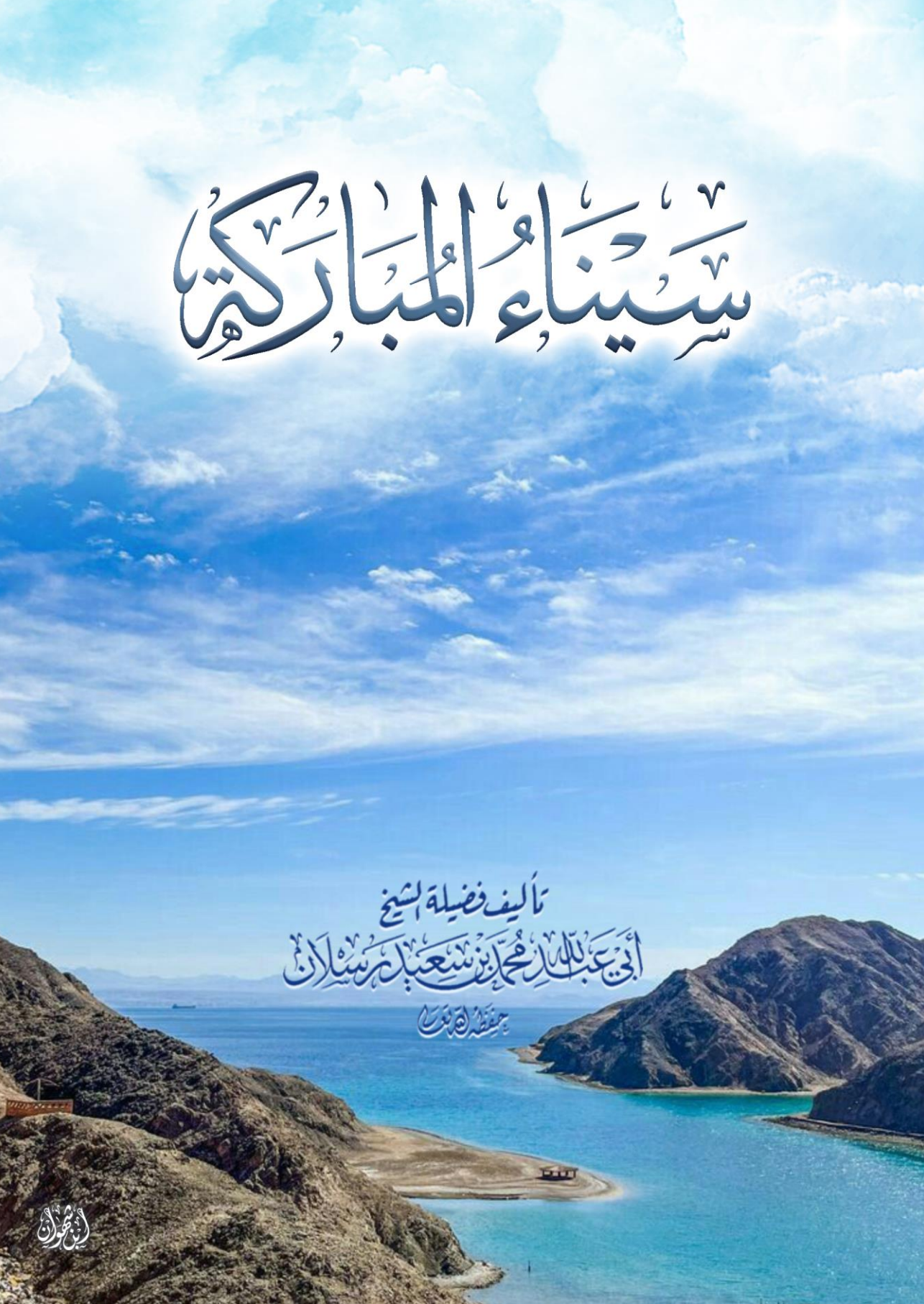

تأليف فضيلة الشيخ

أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان

حفظه الله

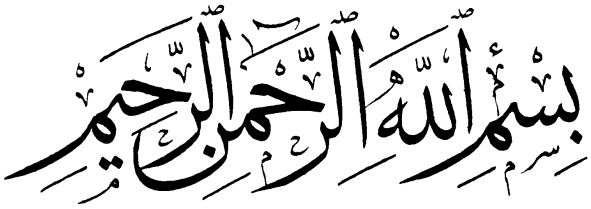
بسم الله الرحمن الرحيم

الْمُقَدِّمَةُ:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

ذِكْرُ سَيْنَاءَ الْمُبَارَكَةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

فَقَدْ ذَكَرَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا **سَيْنَاءَ فِي الْقُرْآنِ بِاسْمِهَا مَرَّتَيْنِ، وَفِي الْمَرَّتَيْنِ ذَكَرَهَا اللهُ -تَعَالَىٰ- مُضَافَةً إِلَىٰ الطُّورِ، فَقَالَ -تَعَالَىٰ- فِي سُورَةِ (التِّينِ): ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾** [التين: ١-٨].

«**التِّينُ**: هُوَ التِّينُ الْمَعْرُوفُ، وَكَذَلِكَ الزَّيْتُونُ، أَقْسَمَ -تَعَالَىٰ- بِهَاتَيْنِ الشَّجَرَتَيْنِ؛ لِكَثْرَةِ مَنَافِعِ شَجَرِهِمَا وَثَمَرِهِمَا، وَلِأَنَّ سُلْطَانَهُمَا فِي أَرْضِ الشَّامِ مَحَلِّ نُبُوَّةِ عِيسَىٰ بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

﴿وَطُورِ سِينِينَ ۝٢﴾ أَيْ: وَطُورِ سَيْنَاءَ مَحَلِّ نُبُوَّةِ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣﴾: وَهُوَ مَكَّةُ الْمُكَرَّمَةُ مَحَلُّ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

فَأَقْسَمَ -تَعَالَىٰ- بِهَذِهِ الْمَوَاضِعِ الْمُقَدَّسَةِ الَّتِي اخْتَارَهَا، وَابْتَعَثَ مِنْهَا أَفْضَلَ النُّبُوَّاتِ وَأَشْرَفَهَا.

وَالْمُقْسَمُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾ أَيْ: تَامَّ

الْخِلْقَةِ، مُتَنَاسِبَ الْأَعْضَاءِ، مُنْتَصِبَ الْقَامَةِ، لَمْ يَفْقِدْ مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا شَيْئًا»(١).

وَذَكَرَ -تَعَالَىٰ- سَيْنَاءَ فِي سُورَةِ (الْمُؤْمِنُونَ)، «فَقَالَ -سُبْحَانَهُ-: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ﴾ [المؤمنون: ٢٠]: وَهِيَ شَجَرَةُ الزَّيْتُونِ، خُصَّتْ بِالذِّكْرِ؛ لِمَنَافِعِهَا الَّتِي ذَكَرَ بَعْضَهَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْـَٔاكِلِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [المؤمنون: ٢٠] أَيْ: فِيهَا الزَّيْتُ الَّذِي هُوَ دُهْنٌ يُسْتَعْمَلُ اسْتِعْمَالُهُ فِي الِاسْتِصْبَاحِ(٢)، وَاصْطِبَاغٍ لِلْآكِلِينَ، أَيْ: يُجْعَلُ إِدَامًا لِلْآكِلِينَ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَنَافِعِ»(٣).

وَقَدْ أَقْسَمَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِطُورِ سَيْنَاءَ، وَهُوَ الْجَبَلُ الَّذِي كَلَّمَ اللهُ -تَعَالَىٰ- عَلَيْهِ مُوسَىٰ بْنَ عِمْرَانَ عليه السلام، فَقَالَ -سُبْحَانَهُ-: ﴿وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الطور:١-١٦].

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ١٠٩٦-١٠٩٧).

(٢) الِاسْتِصْبَاحُ: هُوَ إِيقَادُ الْمِصْبَاحِ بِالزَّيْتِ.

(٣) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ٦٤٢).

«يُقْسِمُ -تَعَالَىٰ- بِهَذِهِ الْأُمُورِ الْعَظِيمَةِ الْمُشْتَمِلَةِ عَلَىٰ الْحِكَمِ الْجَلِيلَةِ؛ عَلَىٰ الْبَعْثِ، وَالْجَزَاءِ لِلْمُتَّقِينَ وَلِلْمُكَذِّبِينَ، فَأَقْسَمَ -تَعَالَىٰ- بِالطُّورِ، وَهُوَ الْجَبَلُ الَّذِي كَلَّمَ اللهُ عَلَيْهِ مُوسَىٰ بْنَ عِمْرَانَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، وَأَوْحَىٰ إِلَيْهِ مَا أَوْحَىٰ مِنَ الْأَحْكَامِ.

وَفِي ذَلِكَ مِنَ الْمِنَّةِ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ أُمَّتِهِ مَا هُوَ مِنْ آيَاتِ اللهِ الْعَظِيمَةِ، وَنِعَمِهِ الَّتِي لَا يَقْدِرُ الْعِبَادُ لَهَا عَلَىٰ عَدٍّ وَلَا ثَمَنٍ»(١).

وَقَدْ قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥١ وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ٥٢ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيّٗا ٥٣﴾ [مريم:٥١-٥٣].

«أَيْ: وَاذْكُرْ فِي هَذَا الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ مُوسَىٰ بْنَ عِمْرَانَ عَلَىٰ وَجْهِ التَّبْجِيلِ لَهُ، وَالتَّعْظِيمِ وَالتَّعْرِيفِ بِمَقَامِهِ الْكَرِيمِ، وَأَخْلَاقِهِ الْكَامِلَةِ، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا﴾: قُرِئَ بِفَتْحِ اللَّامِ عَلَىٰ مَعْنَىٰ أَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- اخْتَارَهُ وَاسْتَخْلَصَهُ وَاصْطَفَاهُ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ، وَقُرِئَ بِكَسْرِهَا عَلَىٰ مَعْنَىٰ أَنَّهُ مُخْلِصٌ للهِ -تَعَالَىٰ- فِي جَمِيعِ أَعْمَالِهِ وَأَقْوَالِهِ وَنِيَّاتِهِ، فَوَصْفُهُ الْإِخْلَاصُ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ، وَالْمَعْنَيَانِ مُتَلَازِمَانِ؛ فَإِنَّ اللهَ أَخْلَصَهُ لِإِخْلَاصِهِ، وَإِخْلَاصُهُ مُوجِبٌ لِاسْتِخْلَاصِهِ، وَأَجَلُّ حَالَةٍ يُوصَفُ بِهَا الْعَبْدُ: الْإِخْلَاصُ مِنْهُ، وَالِاسْتِخْلَاصُ مِنْ رَبِّهِ، ﴿وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾ أَيْ: جَمَعَ اللهُ لَهُ بَيْنَ الرِّسَالَةِ وَالنُّبُوَّةِ، فَالرِّسَالَةُ تَقْتَضِي تَبْلِيغَ كَلَامِ الْمُرْسِلِ،

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ٩٥٩).

وَتَبْلِيغَ جَمِيعِ مَا جَاءَ بِهِ مِنَ الشَّرْعِ دِقِّهِ وَجِلِّهِ، وَالنُّبُوَّةُ تَقْتَضِي إِيحَاءَ اللهِ إِلَيْهِ، وَتَخْصِيصَهُ بِإِنْزَالِ الْوَحْيِ إِلَيْهِ؛ فَالنُّبُوَّةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ، وَالرِّسَالَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْخَلْقِ.

بَلْ خَصَّهُ اللهُ مِنْ أَنْوَاعِ الْوَحْيِ بِأَجَلِّ أَنْوَاعِهِ وَأَفْضَلِهَا، وَهُوَ تَكْلِيمُهُ -تَعَالَىٰ- وَتَقْرِيبُهُ مُنَاجِيًا للهِ -تَعَالَىٰ-، وَبِهَذَا اخْتُصَّ مِنْ بَيْنِ الْأَنْبِيَاءِ بِأَنَّهُ كَلِيمُ الرَّحْمَنِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ أَيِ: الْأَيْمَنِ مِنْ مُوسَىٰ فِي وَقْتِ مَسِيرِهِ، أَوِ الْأَيْمَنِ أَيِ: الْأَبْرَكِ، مِنَ الْيُمْنِ وَالْبَرَكَةِ، وَيَدُلُّ عَلَىٰ هَذَا الْمَعْنَىٰ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [النمل: ٨].

﴿وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾﴾: وَالْفَرْقُ بَيْنَ النِّدَاءِ وَالنَّجَاءِ: أَنَّ النِّدَاءَ هُوَ الصَّوْتُ الرَّفِيعُ، أَيِ: الْمُرْتَفِعُ، وَالنَّجَاءُ مَا دُونَ ذَلِكَ، وَفِي هَذَا إِثْبَاتُ الْكَلَامِ للهِ -تَعَالَىٰ- وَأَنْوَاعِهِ مِنَ النِّدَاءِ وَالنَّجَاءِ، كَمَا هُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، خِلَافًا لِمَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ وَمَنْ نَحَا نَحْوَهُمْ.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾: هَذَا مِنْ أَكْبَرِ فَضَائِلِ مُوسَىٰ، وَإِحْسَانِهِ وَنُصْحِهِ لِأَخِيهِ هَارُونَ؛ أَنَّهُ سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يُشْرِكَهُ فِي أَمْرِهِ، وَأَنْ يَجْعَلَهُ رَسُولًا مِثْلَهُ، فَاسْتَجَابَ اللهُ لَهُ ذَلِكَ، وَوَهَبَ لَهُ مِنْ رَحْمَتِهِ أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا؛ فَنُبُوَّةُ هَارُونَ تَابِعَةٌ لِنُبُوَّةِ مُوسَىٰ عليهما السلام، فَسَاعَدَهُ عَلَىٰ أَمْرِهِ، وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ»(١).

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ٥٧٦-٥٧٧).

«وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ﴾: يُحْتَمَلُ أَنَّهُ قَضَىٰ الْأَجَلَ الْوَاجِبَ أَوِ الزَّائِدَ عَلَيْهِ كَمَا هُوَ الظَّنُّ بِمُوسَىٰ وَوَفَائِهِ، اشْتَاقَ إِلَىٰ الْوُصُولِ إِلَىٰ أَهْلِهِ، وَوَالِدَتِهِ، وَعَشِيرَتِهِ، وَوَطَنِهِ، وَظَنَّ مِنْ طُولِ الْمُدَّةِ أَنَّهُمْ قَدْ تَنَاسَوْا مَا صَدَرَ مِنْهُ -يَعْنِي: مِنْ قَتْلِ الْقِبْطِيِّ-، ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ﴾: قَاصِدًا مِصْرَ، ﴿ءَانَسَ﴾ أَيْ: أَبْصَرَ، ﴿مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ أَيْ: آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ، ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [القصص: ٢٩]: وَكَانَ قَدْ أَصَابَهُمُ الْبَرْدُ، وَتَاهُوا الطَّرِيقَ، ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [القصص: ٣٠].

فَأَخْبَرَهُ بِأُلُوهِيَّتِهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ، وَيَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَأْمُرَهُ بِعِبَادَتِهِ وَتَأَلُّهِهِ، كَمَا صَرَّحَ بِهِ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَىٰ: ﴿فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴿١٤﴾﴾ [طه: ١٤].

﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ [القصص: ٣١]: فَأَلْقَاهَا، ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ﴾: تَسْعَىٰ سَعْيًا شَدِيدًا وَلَهَا صُورَةٌ مَخُوفَةٌ، ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾: ذَكَرُوا الْحَيَّاتِ الْعِظَامَ، ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ أَيْ: يَرْجِعْ؛ لِاسْتِيلَاءِ الرَّوْعِ وَالْخَوْفِ وَالْفَزَعِ عَلَىٰ قَلْبِهِ، فَقَالَ اللهُ -تَعَالَىٰ- لَهُ: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾﴾ [القصص: ٣١]: وَهَذَا أَبْلَغُ مَا يَكُونُ فِي التَّأْمِينِ، وَعَدَمِ الْخَوْفِ»[1].

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ٧٢١).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُمۡ مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِي وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه: ٨٠-٨٢].

«يُذَكِّرُ -تَعَالَىٰ- بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَّتَهُ الْعَظِيمَةَ عَلَيْهِمْ بِإِهْلَاكِ عَدُوِّهِمْ، وَمُوَاعَدَتِهِ لِمُوسَىٰ عليه السلام بِجَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ؛ لِيُنَزِّلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ الَّذِي فِيهِ الْأَحْكَامُ الْجَلِيلَةُ وَالْأَخْبَارُ الْجَمِيلَةُ، فَتَتِمَّ عَلَيْهِمُ النِّعْمَةُ الدِّينِيَّةُ بَعْدَ النِّعْمَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ، وَيُذَكِّرُ مِنَّتَهُ -أَيْضًا- عَلَيْهِمْ فِي التِّيهِ بِإِنْزَالِ الْمَنِّ وَالسَّلْوَىٰ، وَالرِّزْقِ الرَّغَدِ الْهَنِيءِ الَّذِي يَحْصُلُ لَهُمْ بِلَا مَشَقَّةٍ، وَأَنَّهُ قَالَ لَهُمْ: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ أَيْ: وَاشْكُرُوهُ عَلَىٰ مَا أَسْدَىٰ إِلَيْكُمْ مِنَ النِّعَمِ، ﴿وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ﴾ أَيْ: فِي رِزْقِهِ، فَتَسْتَعْمِلُونَهُ فِي مَعَاصِيهِ، وَتَبْطَرُونَ النِّعْمَةَ؛ فَإِنَّكُمْ إِنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ حَلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي، أَيْ: غَضِبْتُ عَلَيْكُمْ، ثُمَّ عَذَّبْتُكُمْ، ﴿وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ ﴿٨١﴾﴾ أَيْ: رَدِيَ[1] وَهَلَكَ وَخَابَ وَخَسِرَ؛ لِأَنَّهُ عَدِمَ الرِّضَا وَالْإِحْسَانَ، وَحَلَّ عَلَيْهِ الْغَضَبُ وَالْخُسْرَانُ»[2].

«قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [القصص: ٤٣]: وَهُوَ التَّوْرَاةُ، ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ﴾: الَّذِينَ كَانَ خَاتِمَتُهُمْ فِي الْإِهْلَاكِ الْعَامِّ

(١) رَدِيَ: هَلَكَ.

(٢) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ٥٩٥).

فِرْعَوْنَ وَجُنُودَهُ، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّهُ بَعْدَ نُزُولِ التَّوْرَاةِ انْقَطَعَ الْهَلَاكُ الْعَامُّ، وَشُرِعَ جِهَادُ الْكُفَّارِ بِالسَّيْفِ، ﴿بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ﴾ أَيْ: كِتَابَ اللهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَىٰ مُوسَىٰ فِيهِ بَصَائِرُ لِلنَّاسِ، أَيْ: أُمُورٌ يُبْصِرُونَ بِهَا مَا يَنْفَعُهُمْ وَمَا يَضُرُّهُمْ، فَتَقُومُ الْحُجَّةُ عَلَىٰ الْعَاصِي، وَيَنْتَفِعُ بِهَا الْمُؤْمِنُ فَتَكُونُ رَحْمَةً فِي حَقِّهِ، وَهِدَايَةً لَهُ إِلَىٰ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [القصص: ٤٣].

وَلَمَّا قَصَّ اللهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مَا قَصَّ مِنْ هَذِهِ الْأَخْبَارِ الْغَيْبِيَّةِ نَبَّهَ الْعِبَادَ عَلَىٰ أَنَّ هَذَا خَبَرٌ إِلَهِيٌّ مَحْضٌ، لَيْسَ لِلنَّبِيِّ ﷺ طَرِيقٌ إِلَىٰ عِلْمِهِ إِلَّا مِنْ جِهَةِ الْوَحْيِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾ أَيْ: بِجَانِبِ الطُّورِ الْغَرْبِيِّ وَقْتَ قَضَائِنَا لِمُوسَىٰ الْأَمْرَ، ﴿وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [القصص: ٤٤]: عَلَىٰ ذَلِكَ حَتَّىٰ يُقَالَ إِنَّهُ وَصَلَ إِلَيْكَ مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ، ﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾: فَانْدَرَسَ الْعِلْمُ، وَنُسِيَتْ آيَاتُهُ، فَبَعَثْنَاكَ فِي وَقْتٍ اشْتَدَّتِ الْحَاجَةُ إِلَيْكَ وَإِلَىٰ مَا عَلَّمْنَاكَ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ، ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا﴾ أَيْ: مُقِيمًا ﴿فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ أَيْ: تُعَلِّمُهُمْ وَتَتَعَلَّمُ مِنْهُمْ، حَتَّىٰ أَخْبَرْتَ بِمَا أَخْبَرْتَ مِنْ شَأْنِ مُوسَىٰ فِي مَدْيَنَ، ﴿وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [القصص: ٤٥]؛ أَيْ: وَلَكِنَّ ذَلِكَ الْخَبَرَ الَّذِي جِئْتَ بِهِ عَنْ مُوسَىٰ أَثَرٌ مِنْ آثَارِ إِرْسَالِنَا إِيَّاكَ، وَوَحْيٌ لَا سَبِيلَ لَكَ إِلَىٰ عِلْمِهِ بِدُونِ إِرْسَالِنَا.

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾: مُوسَىٰ، وَأَمَرْنَاهُ أَنْ يَأْتِيَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ، وَيُبَلِّغَهُمْ رِسَالَتَنَا، وَيُرِيَهُمْ مِنْ آيَاتِنَا وَعَجَائِبِنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ.

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ الْمَاجَرَيَاتِ(١) الَّتِي جَرَتْ لِمُوسَىٰ ﷺ فِي هَذِهِ الْأَمَاكِنِ فَقَصَصْتَهَا كَمَا هِيَ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَلَا نَقْصٍ لَا يَخْلُو مِنْ أَحَدِ أَمْرَيْنِ: إِمَّا أَنْ تَكُونَ حَضَرْتَهَا وَشَاهَدْتَهَا، أَوْ ذَهَبْتَ إِلَىٰ مَحَالِّهَا فَتَعَلَّمْتَهَا مِنْ أَهْلِهَا، فَحِينَئِذٍ قَدْ لَا يَدُلُّ ذَلِكَ عَلَىٰ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ؛ إِذِ الْأُمُورُ الَّتِي يُخْبَرُ بِهَا عَنْ شَهَادَةٍ وَدِرَاسَةٍ مِنَ الْأُمُورِ الْمُشْتَرَكَةِ غَيْرِ الْمُخْتَصَّةِ بِالْأَنْبِيَاءِ، وَلَكِنَّ هَذَا قَدْ عُلِمَ وَتُيُقِّنَ أَنَّهُ مَا كَانَ وَمَا صَارَ، فَأَوْلِيَاؤُكَ وَأَعْدَاؤُكَ يَعْلَمُونَ عَدَمَ ذَلِكَ، فَتَعَيَّنَ الْأَمْرُ الثَّانِي؛ وَهُوَ أَنَّ هَذَا جَاءَكَ مِنْ قِبَلِ اللهِ وَوَحْيِهِ وَإِرْسَالِهِ، فَثَبَتَ بِالدَّلِيلِ الْقَطْعِيِّ صِحَّةُ رِسَالَتِكَ، وَرَحْمَةُ اللهِ بِكَ لِلْعِبَادِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ يَعْنِي: الْعَرَبَ وَقُرَيْشًا؛ فَإِنَّ الرِّسَالَةَ عِنْدَهُمْ لَا تُعْرَفُ وَقْتَ إِرْسَالِ الرَّسُولِ وَقَبْلَهُ بِأَزْمَانٍ مُتَطَاوِلَةٍ.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [القصص: ٤٦]: تَفْصِيلَ الْخَيْرِ فَيَفْعَلُونَهُ، وَالشَّرِّ فَيَتْرُكُونَهُ، فَإِذَا كُنْتَ بِهَذِهِ الْمَنْزِلَةِ كَانَ الْوَاجِبُ عَلَيْهِمُ الْمُبَادَرَةَ إِلَىٰ الْإِيمَانِ بِكَ، وَشُكْرَ هَذِهِ النِّعْمَةِ الَّتِي لَا يُقَادَرُ قَدْرُهَا، وَلَا يُدْرَكُ شُكْرُهَا، وَإِنْذَارُهُ

(١) ماجَرَيات: اسم: كَلِمَةٌ مَأْخُوذَةٌ مِنْ جَرَىٰ مَا جَرَىٰ، مَاجَرَيَاتُ الأُمُورِ: أَحْدَاثُهَا، وَمَاجَرَيَاتُ الدَّهْرِ: حَوَادِثُهُ.

لِلْعَرَبِ لَا يَنْفِي أَنْ يَكُونَ مُرْسَلًا لِغَيْرِهِمْ؛ فَإِنَّهُ عَرَبِيٌّ، وَالْقُرْآنُ الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ عَرَبِيٌّ، وَأَوَّلُ مَنْ بَاشَرَ بِدَعْوَتِهِ الْعَرَبُ، فَكَانَتْ رِسَالَتُهُ لَهُمْ أَصْلًا، وَلِغَيْرِهِمْ تَبَعًا، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾ [يونس: ٢]، وَكَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]»[1].

❀❀❀❀

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ٧٢٣-٧٢٤).

جَبَلُ الطُّورِ نَوَاةُ سَيْنَاءَ الصُّلْبَةُ

«جَبَلُ الطُّورِ أَوْ إِقْلِيمُ الْجِبَالِ، أَوِ الْكُتْلَةُ الْجَبَلِيَّةُ الْحَقِيقِيَّةُ كُتْلَةُ الصُّخُورِ الْأَرْكِيَّةِ النَّارِيَّةُ الْبِلَّوْرِيَّةُ الْجرَانِيتِيَّةُ الصَّلْبَةُ تَحْتَلُّ الثُّلُثَ الْجَنُوبِيَّ الْأَقْصَىٰ وَالْأَضْيَقَ مِنْ مُثَلَّثِ شِبْهِ جَزِيرَةِ سَيْنَاءَ، مَا بَيْنَ الْخَلِيجَيْنِ جَنُوبِ خَطٍّ عَرْضٍ تِسْعَةٍ وَعِشْرِينَ (٢٩°) بِقَلِيلٍ، بَلْ هِيَ نَفْسُهَا مُثَلَّثٌ مُتَسَاوِي الْأَضْلَاعِ تَقْرِيبًا، مَعَ تَقَعُّرٍ خَفِيفٍ نَحْوَ الْجَنُوبِ فِي الضِّلْعِ الشَّمَالِيِّ، مَعَ مُلَاحَظَةِ أَنَّ مِنَ الضِّلْعِ الشَّرْقِيِّ يَخْرُجُ لِسَانٌ ضَيِّقٌ؛ وَلَكِنَّهُ مُتَّصِلٌ تَمَامًا، وَذَلِكَ بِامْتِدَادِ السَّاحِلِ حَتَّىٰ رَأْسِ خَلِيجِ الْعَقَبَةِ تَقْرِيبًا، فِي حِينِ أَنَّ الضِّلْعَ الْغَرْبِيَّ أَقْصَرُ بِوُضُوحٍ؛ وَلَكِنْ تَخْرُجُ مُنْفَصِلَةً عَنْهُ بِالْمُقَابِلِ بَعْضُ شَظَايَا مُوَازِيَةٍ مُسْتَقِلَّةٍ.

وَالْكُتْلَةُ كُلُّهَا مَحْدُودَةُ الْمِسَاحَةِ نِسْبِيًّا، هِيَ أَقَلُّ مِنْ تِسْعَةَ عَشَرَ أَلْفِ كِيلُو مِتْرٍ مُرَبَّعٍ (١٩٠٠٠ كم٢)، **أَيْ: هِيَ أَقَلُّ مِنْ ثُلُثِ شِبْهِ الْجَزِيرَةِ السِّينَاوِيَّةِ بِكَثِيرٍ؛ لَكِنَّهَا مُتَمَيِّزَةٌ إِلَىٰ أَقْصَىٰ حَدٍّ، مُتَبَلْوِرَةُ الشَّخْصِيَّةِ جِدًّا**، فَإِلَىٰ الْجَنُوبِ مِنْ خَطِّ أَوْدِيَةِ فِيرَانَ الَّتِي يَفْصِلُهَا عَنِ الْهَضَبَةِ الْوُسْطَىٰ يَتَغَيَّرُ فَجْأَةً كُلُّ شَيْءٍ فِي مُورْفُولُوجِيَّةِ الْإِقْلِيمِ وَمَظْهَرِ الْبِيئَةِ، فَهُنَا قَلَّ أَنْ تُقَابِلَ رِمَالًا أَوْ هِضَابًا مَائِدِيَّةً كَمَا فِي الشَّمَالِ؛ بَلْ حَيْثُمَا اتَّجَهْتَ فَثَمَّ قِمَمُ الْجِبَالِ الْمُدَبَّبَةِ الشَّاهِقَةِ، وَثَمَّةَ الْكُتَلُ

الْجَبَلِيَّةُ الضَّخْمَةُ الْحَادَّةُ تَتَسَلَّلُ أَوْ تَنْدَفِعُ بَيْنَهَا أَوْدِيَةٌ عَمِيقَةٌ غَائِرَةٌ.

هُنَا نَوَاةُ سَيْنَاءَ الصُّلْبَةُ، وَقَلْعَتُهَا الْمَعْزُولَةُ الشَّمَّاءُ، الْكُتْلَةُ الْجَبَلِيَّةُ الْحَقِيقِيَّةُ، أَوْ إِقْلِيمُ الْجِبَالِ، أَوْ جَبَلُ الطُّورِ.

وَبَيْنَمَا يَمْتَدُّ تَحْتَ أَقْدَامِ هَذِهِ الْقَلْعَةِ عَلَىٰ الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ السُّوَيْسِيِّ سَهْلٌ سَاحِلِيٌّ مُتَّسِعٌ نِسْبِيًّا فَإِنَّهَا تَهْوِي إِلَىٰ مُنْحَدَبٍ تَقْرِيبًا إِلَىٰ الْبَحْرِ عَلَىٰ الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ لِتُشْرِفَ عَلَىٰ خَلِيجِ الْعَقَبَةِ مُبَاشَرَةً، كَأَنَّهَا قَلْعَةٌ مُخَنْدَقَةٌ مَائِيًّا، أَمَّا فِي الدَّاخِلِ فَإِنَّ مُثَلَّثَ الْكُتْلَةِ تُخَدِّدُهُ شَبَكَةٌ كَثِيفَةٌ مِنَ الْأَوْدِيَةِ الْعَمِيقَةِ الَّتِي تُصْرَفُ يَمِينًا وَيَسَارًا، فَتَبْدُو فِي هَيْئَتِهَا كَضُلُوعِ الْقَفَصِ الصَّدْرِيِّ لِلْإِنْسَانِ»[1].

❀❀❀

(١) «سيناء في الاستراتيجية والسياسة والجغرافيا» (ص: ١٩١-١٩٢) للدكتور: جمال حمدان.

سَيْنَاءُ أَكْثَرُ مِنْ ثُلُثِ مِصْرَ عُمْقًا!

«**وَمِسَاحَةُ سَيْنَاءَ وَاحِدٌ وَسِتُّونَ أَلْف كِيلُو مِتْر مُرَبَّع (٦١٠٠٠ كم٢)، حَوَالَيْ سِتَّةٍ بِالْمِائَةِ (٦٪) مِنْ مِسَاحَةِ مِصْرَ، أَوْ نَحْوَ ثَلَاثَةِ أَمْثَالِ مِسَاحَةِ الدِّلْتَا،** تَبْدُو عَلَىٰ الْخَرِيطَةِ كَمُثَلَّثٍ مُنْتَظِمٍ بِدَرَجَةٍ أَوْ بِأُخْرَىٰ، ارْتِفَاعُهُ مِنْ (رَأْسِ بَرَون) حَتَّىٰ (رَأْسِ مُحَمَّدٍ) نَحْوُ ثَلَاثِ مِائَةٍ وَثَمَانِينَ إِلَىٰ ثَلَاثِ مِائَةٍ وَتِسْعِينَ كِيلُو مِتْر (٣٨٠ : ٣٩٠ كم)، وَأَقْصَىٰ عَرْضِهِ بَيْنَ السُّوَيْسِ وَالْعَقَبَةِ نَحْوُ مِائَتَيْنِ وَعَشْرَةِ كِيلُو مِتْرَاتٍ (٢١٠ كم)، أَيْ: أَنَّ طُولَهُ نَحْوُ ضِعْفِ عَرْضِهِ إِلَّا قَلِيلًا، قُلْ بِالْأَرْقَامِ الْمُدَوَّرَةِ: أَرْبَعُ مِائَةٍ إِلَىٰ مِائَتَيْ كِيلُو مِتْرٍ عَلَىٰ التَّرْتِيبِ.

بِهَذَا الشَّكْلِ تَبْدُو سَيْنَاءُ بِكُتْلَتِهَا الْمُنْدَمِجَةِ الْمُكْتَنِزَةِ كَثِقَلٍ مُعَلَّقٍ، أَوْ كَسَلَّةٍ مُدَلَّاةٍ عَلَىٰ كَتِفِ مِصْرَ الشَّرْقِيِّ فِي أَقْصَىٰ الشَّمَالِ، لَا تَلْتَحِمُ بِهَا إِلَّا بِوَاسِطَةِ بَرْزَخِ السُّوَيْسِ.

وَلَقَدْ أَلِفْنَا لِذَلِكَ أَنْ نَنْظُرَ إِلَىٰ سَيْنَاءَ عَلَىٰ أَنَّهَا تُمَثِّلُ أَقْصَىٰ شَمَالِ شَرْقِ مِصْرَ، وَهَذَا صَحِيحٌ أَسَاسًا بِالطَّبْعِ؛ وَلَكِنْ مَعَ تَصْحِيحَيْنِ ثَانَوِيَّيْنِ، فَلِأَنَّهَا أَكْثَرُ طُولًا مِنْهَا عَرْضًا نَجِدُ ثَمَّةَ مُفَارَقَتَيْنِ مُثِيرَتَيْنِ:

أَوَّلًا: رَغْمَ أَنَّهَا مِنْ أَكْثَرِ أَجْزَاءِ مِصْرَ امْتِدَادًا وَتَطَرُّفًا نَحْوَ الشَّرْقِ إِلَّا أَنَّهَا

لَيْسَتِ الْأَكْثَرَ فِي هَذَا الْمِضْمَارِ، فَهَذَا الْمَوْقِعُ إِنَّمَا يَذْهَبُ كَمَا رَأَيْنَا إِلَىٰ مَنْطِقَةِ (عِلْبَةَ) فِي أَقْصَىٰ جَنُوبِ شَرْقِ الصَّحْرَاءِ الشَّرْقِيَّةِ، فَأَقْصَىٰ نُقْطَةٍ شَرْقِيَّةٍ فِي سَيْنَاءَ عِنْدَ رَأْسِ خَلِيجِ الْعَقَبَةِ تَقَعُ عَلَىٰ خَطِّ طُول خَمْسَةٍ وَثَلَاثِينَ (٣٥°) شَرْقًا، بَيْنَمَا تَتَجَاوَزُ مَنْطِقَةُ (عِلْبَة) خَطَّ سَبْعَةٍ وَثَلَاثِينَ (٣٧°) شَرْقًا.

ثَانِيًا: فَرَغْمَ أَنَّهَا مِنْ أَكْثَرِ أَجْزَاءِ مِصْرَ شَمَالِيَّةً وَتَمَدُّدًا نَحْوَ الشَّمَالِ إِلَّا أَنَّنَا قَلِيلًا مَا نَذْكُرُ أَنَّهَا -أَيْضًا- بَالِغَةُ التَّعَمُّقِ نَحْوَ الْجَنُوبِ، أَكْثَرُ بِالتَّأْكِيدِ مِمَّا نَتَصَوَّرُ تَقْلِيدِيًّا، فَبَيْنَمَا هِيَ -أَيْ: سَيْنَاءُ- تَبْدَأُ مَعَ سَاحِلِ مِصْرَ الشَّمَالِيِّ حَوَالَيْ خَطِّ عَرْضٍ وَاحِدٍ وَثَلَاثِينَ وَنِصْفٍ (٣١,٥°)؛ إِذْ بِهَا تَنْتَهِي عِنْدَ (رَأْسِ مُحَمَّدٍ) بَعْدَ خَطِّ عَرْضٍ ثَمَانِيَةٍ وَعِشْرِينَ (٢٨°) تَقْرِيبًا عَلَىٰ عُرُوضِ (مَلَّوِي) فِي وَسَطِ مُحَافَظَةِ أَسْيُوط، أَيْ: أَنَّهَا تَتَعَمَّقُ حَتَّىٰ عُرُوضِ قَلْبِ الصَّعِيدِ الْأَوْسَطِ، وَأَنْتَ عِنْدَ (رَأْسِ مُحَمَّدٍ) تَكُونُ فِي الْحَقِيقَةِ أَقْرَبَ إِلَىٰ قِنَا وَثَنِيَّةِ قِنَا مِنْكَ إِلَىٰ الْقَاهِرَةِ وَرَأْسِ الدِّلْتَا، وَذَلِكَ بِأَيِّ الطُّرُقِ الْبَحْرِيَّةِ أَوِ الْبَرِّيَّةِ الْمَطْرُوقَةِ، وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَىٰ: فَإِنَّ سَيْنَاءَ تَتَرَامَىٰ عَبْرَ نَحْوِ ثَلَاثِ دَرَجَاتٍ وَنِصْفٍ (٣,٥) عَرْضِيَّةً لِتَبْلُغَ بِذَلِكَ أَكْثَرَ مِنْ ثُلُثِ امْتِدَادِ أَوْ عُمْقِ مِصْرَ مِنَ الشَّمَالِ إِلَىٰ الْجَنُوبِ.

بِالِاخْتِصَارِ الشَّدِيدِ: سَيْنَاءُ وَاحِدٌ عَلَىٰ سِتَّةَ عَشَرَ (١/ ١٦) مِنْ مِصْرَ مِسَاحَةً؛ لَكِنَّهَا أَكْثَرُ مِنْ ثُلُثِ مِصْرَ عُمْقًا»[1].

(١) «سيناء في الاستراتيجية والسياسة والجغرافيا» (ص: ٦١-٦٣).

أَهَمِّيَّةُ سَيْنَاءَ لِجُغْرَافِيَةِ مِصْرَ كُلِّهَا

وَمِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ يَتَحَوَّلَ شَمَالُ سَيْنَاءَ إِلَىٰ نِطَاقٍ مُنَاظِرٍ وَرُبَّمَا مُنَافِسٍ لِلسَّاحِلِ الشَّمَالِيِّ الْغَرْبِيِّ، وَقَدْ لَا يَكُونُ بَعِيدًا ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي تُصْبِحُ فِيهِ الرُّقْعَةُ الزِّرَاعِيَّةُ الْخَضْرَاءُ مُتَّصِلَةً مُمْتَدَّةً بِلَا انْقِطَاعٍ مِنَ الْقَاهِرَةِ إِلَىٰ السُّوَيْسِ إِلَىٰ رَفَحٍ، وَيُصْبِحُ فِيهِ هَذَا الْخَطُّ حُدُودَ الْمَعْمُورِ الْمِصْرِيِّ الْجَدِيدِ شَرْقًا؛ بَلْ قَدْ يَأْتِي يَوْمٌ يَتَحَوَّلُ فِيهِ نِطَاقُ السَّاحِلِ الشَّمَالِيِّ بِرُمَّتِهِ أَوْ فِي مُعْظَمِهِ مِنَ الْحُدُودِ إِلَىٰ الْحُدُودِ مِنْ رَفَحٍ إِلَىٰ السَّلُّومِ نِطَاقًا وَاحِدًا مُتَّصِلًا مِنَ الْمَزْرُوعِ، يَشْمَلُ شَمَالَ سَيْنَاءَ وَبَرَارِي شَمَالِ الدِّلْتَا بِبُحَيْرَاتِهَا، ثُمَّ (مَارْمَرِيكَا مَرْيُوط)، بَلْ قَدْ يُصْبِحُ هَذَا النِّطَاقُ خَطًّا جَدِيدًا أَسَاسِيًّا مِنْ خُطُوطِ الْعُمْرَانِ وَالْمَعْمُورِ، خَطًّا عَرْضِيًّا وَرَابِعًا يُضَافُ إِلَىٰ خُطُوطِهَا الطُّولِيَّةِ الثَّلَاثَةِ، وَيَتَعَامَدُ عَلَيْهَا.

وَأَخِيرًا وَأَخْطَرُهُ؛ فَلَمَّا كَانَتْ مُعْظَمُ هَذِهِ الْقِطَاعَاتِ سَوَاءً جَنَاحَاهَا شَرْقًا فِي سَيْنَاءَ، أَوْ غَرْبًا فِي السَّاحِلِ الشَّمَالِيِّ الْغَرْبِيِّ سَتَعْتَمِدُ -كَمَا فِي قَلْبِهَا دَاخِلَ الدِّلْتَا- عَلَىٰ مِيَاهِ النِّيلِ جُزْئِيًّا أَوْ كُلِّيًّا؛ فَإِنَّ لَنَا فِي هَذِهِ الْحَالَةِ أَنْ نَقُولَ دُونَ مُبَالَغَةٍ: إِنَّ دِلْتَا النِّيلِ وَمَعَهَا حَوْضَهُ هِيَ الَّتِي سَتَتَّسِعُ وَسَتَنْفَرِجُ لِتَمْتَدَّ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ فِي تَارِيخِهَا الْبَشَرِيِّ -بَلْ وَالطَّبِيعِيِّ- مِنَ الْقَاهِرَةِ إِلَىٰ السُّوَيْسِ إِلَىٰ رَفَحٍ عَلَىٰ جَانِبٍ، وَمِنَ الْقَاهِرَةِ إِلَىٰ النَّطْرُونِ إِلَىٰ السَّلُّومِ عَلَىٰ الْجَانِبِ الْآخَرِ.

هَلْ سَيْنَاءُ أَفْرِيقِيَّةٌ أَمْ آسْيَوِيَّةٌ؟

«وَهَلْ سَيْنَاءُ أَفْرِيقِيَّةٌ أَمْ آسْيَوِيَّةٌ؟

أَفْرِيقِيَّةٌ أَمْ آسْيَوِيَّةٌ؟ هَذَا هُوَ السُّؤَالُ الْقَدِيمُ الْجَدِيدُ الَّذِي يَطْرَحُ نَفْسَهُ عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ، وَيَتَطَلَّبُ إِجَابَةً عِلْمِيَّةً شَافِيَةً وَوَاعِيَةً -أَيْضًا-، فَلِأَمْرٍ مَا أَلَحَّ بَعْضُ الْكُتَّابِ وَالْعُلَمَاءِ الْغَرْبِيِّينَ مُنْذُ وَقْتٍ مُبَكِّرٍ فِي الْقَرْنِ التَّاسِعَ عَشَرَ عَلَىٰ هَذَا السُّؤَالِ إِلْحَاحًا سَافِرًا وَمُرِيبًا، لَيْسَ فَقَطْ بَشَرِيًّا، وَلَكِنْ طَبِيعِيًّا، لَيْسَ فَقَطْ جُغْرَافِيًّا، وَلَكِنْ حَتَّىٰ جُيُولُوجِيًّا!

وَمِنْ أَسَفٍ أَنَّ بَعْضًا مِنَّا رَجَّعَ التَّسَاؤُلَ نَفْسَهُ دُونَ وَعْيٍ فِكْرِيٍّ، وَبِلَا نَقْدٍ عِلْمِيٍّ كَافٍ؛ لَكِنَّ وَاقِعَ الْأَمْرِ عِلْمِيًّا أَنَّ الْمُشْكِلَةَ مُفْتَعَلَةٌ، وَأَنَّ الْقَضِيَّةَ مُزَيَّفَةٌ، اصْطَنَعَهَا الِاسْتِعْمَارُ تَمْهِيدًا وَتَبْرِيرًا فِكْرِيًّا لِأَغْرَاضٍ سِيَاسِيَّةٍ بَعِيدَةٍ وَمُبَيَّتَةٍ تَكَشَّفَتْ فِيمَا بَعْدُ، أَمَّا الْحَقِيقَةُ الْمَوْضُوعِيَّةُ فِي الْجَدَلِ كُلِّهِ فَمَسْؤُولِيَّةُ الْعِلْمِ، وَالْعِلْمِ الْجُغْرَافِيِّ وَحْدَهُ.

وَسَيْنَاءُ عَلَىٰ حَسَبِ الْحَقِيقَةِ الْعِلْمِيَّةِ هِيَ مِصْرُ الصُّغْرَىٰ؛ فَالْوَاقِعُ أَنَّ سَيْنَاءَ إِنَّمَا هِيَ امْتِدَادٌ أَوْ تَصْغِيرٌ لِصَحَرَاءِ مِصْرَ الشَّرْقِيَّةِ، أَكْثَرُ مِمَّا هِيَ امْتِدَادٌ أَوْ تَصْغِيرٌ لِلْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَهِيَ أَقْرَبُ فِي الْجُيُولُوجْيَا وَالطُّوبُوغْرَافْيَا وَالْمَنَاخِ

وَالْمَائِيَّةِ وَالنَّبَاتِ إِلَىٰ الْأُولَىٰ مِنْهَا إِلَىٰ الثَّانِيَةِ، فَلَا هِيَ جُزْءٌ لَا يَتَجَزَّأُ أَوْ جُزْءٌ يَتَجَزَّأُ مِنْ قَارَّةِ آسْيَا، وَلَا هِيَ مِنْ بِلَادِ الْعَرَبِ الْحَجَرِيَّةِ، أَيِ: الْعَرَبِ الْبَتْرَاءِ، أَوْ شِبْهِ الْقَارَّةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي شَيْءٍ.

وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ الْخَطَأَ فِي اتِّبَاعِ سَيْنَاءَ جُيُولُوجِيًّا أَوْ جُغْرَافِيًّا أَوْ طَبِيعِيًّا لِلْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ دُونَ مِصْرَ إِنَّمَا يَنْبُعُ مِنَ انْكِسَارٍ عَامٍّ فِي الرُّؤْيَةِ الْعِلْمِيَّةِ مِثْلَمَا يُذْكَرُ بِخِدَاعِ أَرِسْطُو، فَمِصْرُ وَالْجَزِيرَةُ كِلْتَاهُمَا نَظَائِرُ جُيُولُوجِيَّةٌ عَلَىٰ ضِلْعَيِ الْأُخْدُودِ الْأَفْرِيقِيِّ بَعْدَ أَنْ كَانَتَا أَصْلًا وِحْدَةً جُيُولُوجِيَّةً وَاحِدَةً فِي الْكُتْلَةِ الْعَرَبِيَّةِ النُّوبِيَّةِ الصُّلْبَةِ، فَالتَّشَابُهُ الْجُيُولُوجِيُّ مُشْتَرَكٌ بَيْنَ الْجَمِيعِ؛ سَيْنَاءُ وَمِصْرُ وَالْجَزِيرَةُ.

وَسَيْنَاءُ فِي هَذَا هِيَ الْعُقْدَةُ الْجُيُولُوجِيَّةُ مِثْلَمَا هِيَ الْعُقْدَةُ الْجُغْرَافِيَّةُ بَيْنَ الْجَانِبَيْنِ؛ إِلَّا أَنَّهَا دَائِمًا أَقْرَبُ جُيُولُوجِيًّا إِلَىٰ صَحَرَاءِ مِصْرَ الشَّرْقِيَّةِ مِثْلَمَا هِيَ أَدْخَلُ جُغْرَافِيًّا فِي مِصْرَ الْأُمِّ عُمُومًا.

وَبِهَذَا فَإِنَّ السُّؤَالَ -أَفْرِيقِيَّةٌ أَمْ آسْيَوِيَّةٌ- مَحْسُومٌ عِلْمِيًّا، وَلَا مُبَرِّرَ لِحَيْرَةٍ أَوْ لِتَنَاقُضٍ؛ فَسَيْنَاءُ عَلَىٰ الْمُسْتَوَىٰ الطَّبِيعِيِّ أَفْرِيقِيَّةٌ أَكْثَرُ مِمَّا هِيَ آسْيَوِيَّةٌ، وَمِصْرِيَّةٌ أَكْثَرُ مِنْهَا عَرَبِيَّةٌ، كُلُّ هَذَا -لَاحِظْ- عَلَىٰ الْمُسْتَوَىٰ الطَّبِيعِيِّ فِي الْجُولُوجْيَا وَالْجُغْرَافْيَا وَالْأَرْضِ، أَمَّا فِي التَّارِيخِ فَتِلْكَ قِصَّةٌ أُخْرَىٰ.

وَكُلُّ مَا يُمْكِنُ أَنْ نَقُولَهُ هُنَا هُوَ: أَنَّ مِصْرَ كَمَا هِيَ فِي أَفْرِيقْيَا بِالْجُغْرَافْيَا

فَإِنَّهَا فِي آسْيَا بِالتَّارِيخِ، وَفِي هَذَا الْمَفْهُومِ فَإِنَّ مِصْرَ تَزْدَادُ آسْيَوِيَّةً بِالضَّرُورَةِ كُلَّمَا اتَّجَهْنَا شَمَالًا بِشَرْقٍ؛ فَالصَّحَرَاءُ الشَّرْقِيَّةُ أَكْثَرُ آسْيَوِيَّةً إِلَىٰ حَدٍّ مَا مِنَ الْغَرْبِيَّةِ، وَسَيْنَاءُ أَكْثَرُ نَوْعًا مِنَ الِاثْنَتَيْنِ؛ وَلَكِنَّهَا فِي النِّهَايَةِ لَا تَزِيدُ آسْيَوِيَّةً وَلَا تَقِلُّ أَفْرِيقِيَّةً عَنْ مِصْرَ، **إِنَّهَا بِكُلِّ بَسَاطَةٍ جُزْءٌ لَا يَتَجَزَّأُ مِنْ مِصْرَ، كَمَا تَذْهَبُ تَذْهَبُ**»(١).

وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

(١) «سيناء في الاستراتيجية والسياسة والجغرافيا» (ص: ٨٥-٩١).

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الْحَمْدُ للهِ وَحْدَهُ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ.

● **أَمَّا بَعْدُ:**

فَلَيْسَ الْعَاقِلُ الَّذِي يَعْرِفُ الْخَيْرَ مِنَ الشَّرِّ، وَإِنَّمَا الْعَاقِلُ كُلُّ الْعَاقِلِ الَّذِي يَعْرِفُ خَيْرَ الْخَيْرَيْنِ لِيَأْخُذَهُ، وَشَرَّ الشَّرَّيْنِ لِيَطْرَحَهُ.

وَالْمُسْلِمُونَ الْيَوْمَ فِي جَوْلَةٍ مِنْ جَوْلَاتِ الصِّرَاعِ بَيْنَ الْإِسْلَامِ وَالْكُفْرِ؛ الْكُفْرِ بِكُلِّ مُؤَسَّسَاتِهِ وَصُوَرِهِ، بِكُلِّ خُطَطِهِ وَدَسَائِسِهِ وَمُؤَامَرَاتِهِ، وَلِلْأَسَفِ هِيَ جَوْلَةٌ قَدْ يَخْسَرُ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ؛ لِأَنَّ أَبْنَاءَ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِمَّنْ يَتَوَجَّهُونَ إِلَىٰ الْقِبْلَةِ مُصِرُّونَ عَلَىٰ أَنْ يَتْرُكُوا انْتِمَاءَهُمُ الْحَقَّ، وَأَنْ يَتَوَجَّهُوا إِلَىٰ قِبْلَةِ الْغَرْبِ بِدِينِ الْغَرْبِ الْفَاجِرِ، وَنُظُمِهِمُ الْبَاطِلَةِ الَّتِي إِنَّمَا اسْتَوْحَوْهَا مِنْ شَيَاطِينِهِمْ.

وَكَثِيرٌ مِنْ أَبْنَاءِ الْأُمَّةِ قَدْ غُيِّبَتْ عَنْهُمْ عُقُولُهُمْ، فَلَا يَعْرِفُونَ الْخَيْرَ مِنَ الشَّرِّ؛ فَضْلًا عَنْ مَعْرِفَةِ خَيْرِ الْخَيْرَيْنِ، وَمَعْرِفَةِ شَرِّ الشَّرَّيْنِ، وَهُوَ أَمْرٌ يُعَدُّ فِي بَابِ الْهَزَائِمِ هَزِيمَةً وَحْدَهُ؛ لِأَنَّهُ مَا صُرِعَتْ أُمَّةٌ بِأَكْثَرَ مِنْ أَنْ تُصْرَعَ فِي مَيْدَانِ دِينِهَا وَيَقِينِهَا، وَعَقِيدَتِهَا وَانْتِمَائِهَا، مَا صُرِعَتْ أُمَّةٌ بِمِثْلِ أَنْ تُصْرَعَ فِي ثَوَابِتِهَا،

وَأَنْ تُصَابَ فِي قِيَمِهَا، وَمُثُلِهَا، وَيَقِينِهَا، وَحَضَارَتِهَا، وَمَاضِيهَا، مَا صُرِعَتْ أُمَّةٌ بِمِثْلِ هَذَا الَّذِي يَقَعُ فِي الْأُمَّةِ الَّذِي تَجْرِي فِيهِ الْغَوْغَاءُ عَلَىٰ سَنَنٍ إِلَّا أَنَّهُ مُعْوَجٌّ وَمُضْطَرِبٌ!

تَحْذِيرُ الرَّئِيسِ الْأَمِرِيكِيِّ فَرَانْكِلِين مِنْ خَطَرِ الْيَهُودِ

كِتَاب «بُرُوتُوكُولَاتُ حُكَمَاءِ صُهْيُون» كِتَابٌ يَحْتَوِي عَلَىٰ أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ مَادَّةً أَوْ بُرُوتُوكُولةً، يُدَبِّرُ الْيَهُودُ فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ الْمَوَادِّ خُطَطًا وَمَكَائِدَ لِلْبَشَرِيَّةِ كُلِّهَا فِي أَيِّ مَوْقِعٍ مِنَ الْأَرْضِ، يُدَبِّرُونَ ذَلِكَ بِعَمَلٍ تَعَاوُنِيٍّ يُرِيدُونَ مِنْ وَرَائِهِ بَسْطَ النُّفُوذِ وَالسَّيْطَرَةَ عَلَىٰ الْعَالَمِ كُلِّهِ، يُرِيدُونَ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ التَّحَكُّمَ فِي مَصَائِرِ شُعُوبِ الْأَرْضِ ضِمْنَ حُلْمِهِمُ الَّذِي يُدَبِّرُونَ فِيهِ أَنْ يَكُونَ الْعَالَمُ كُلُّهُ بِأُمَمِهِ، وَخَيْرَاتِهِ، وَاقْتِصَادِهِ، وَعِلْمِهِ، وَفِكْرِهِ، وَزِرَاعَتِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا فِي الْأَرْضِ مِنْ مَعَارِفَ وَعُلُومٍ وَبَشَرٍ؛ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ كُلُّهُ مُسَخَّرًا لَهُمْ، وَتَحْتَ هَيْمَنَةِ حُكْمِهِمْ بِقِيَادَةِ مَلِكِهِمْ وَمُسْتَشَارِهِمُ الَّذِي يَدَّعُونَ!

إِنَّ خَطَرَ الْيَهُودِ قَدِ الْتَفَتَ إِلَيْهِ قَبْلُ الرَّئِيسُ الْأَمِرِيكِيُّ (بِنْيَامِين فَرَانْكِلِين)، أَدْرَكَ ذَلِكَ، وَأَدْرَكَ أَثَرَ دَسَائِسِهِمْ عَلَىٰ الْمُجْتَمَعِ الْأَمِرِيكِيِّ فِي وَقْتٍ مُبَكِّرٍ، وَاهْتَمَّ بِتَنْبِيهِ بَنِي جِلْدَتِهِ حُكَّامًا وَمَحْكُومِينَ إِلَىٰ خَطَرِ الْيَهُودِ، فَأَعْلَنَ (فَرَانْكِلِين) فِي الْمُؤْتَمَرِ الَّذِي انْعَقَدَ لِإِعْلَانِ الدُّسْتُورِ فِي الْوِلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ سَنَةَ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ وَأَلْفٍ (١٧٨٩م)؛ أَعْلَنَ مُوَجِّهًا إِنْذَارًا شَدِيدًا لِلشَّعْبِ الْأَمِرِيكِيِّ يُحَذِّرُ فِيهِ مِنْ خَطَرِ الْيَهُودِ وَمَكَائِدِهِمْ عَلَيْهِمْ، وَجَاءَ فِي تِلْكَ

الْكَلِمَةِ قَوْلُهُ: «هُنَاكَ خَطَرٌ عَظِيمٌ يُهَدِّدُ الْوِلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةَ الْأَمِرِيكِيَّةَ، وَذَلِكَ الْخَطَرُ هُوَ الْيَهُودُ، يَجِبُ الْحَذَرُ مِنْهُمْ؛ فَهُمْ حَيْثُمَا اسْتَقَرُّوا يُوهِنُونَ مِنْ عَزِيمَةِ الشَّعْبِ، وَيُزَعْزِعُونَ الْخُلُقَ التُّجَارِيَّ الشَّرِيفَ.

إِنَّهُمْ كَوَّنُوا حُكُومَةً دَاخِلَ الْحُكُومَةِ، وَحِينَمَا يَجِدُونَ مُعَارَضَةً مِنْ أَحَدٍ فَإِنَّهُمْ يَعْمَلُونَ عَلَىٰ خَنْقِ الْأُمَّةِ مَالِيًّا، كَمَا حَدَثَ لِلْبُرْتُغَالِ وَإِسْبَانْيَا، وَمُنْذُ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ وَسَبْعِ مِائَةِ (١٧٠٠) عَامٍ وَهُمْ يَنْدُبُونَ مَصِيرَهُمْ لَا لِشَيْءٍ إِلَّا لِادِّعَائِهِمْ أَنَّهُمْ طُرِدُوا مِنَ الْوَطَنِ الْأُمِّ، وَلَكِنْ تَأَكَّدُوا أَنَّهُمْ إِذَا أُعِيدَ إِلَيْهِمُ الْيَوْمَ، وَأَعَادَ إِلَيْهِمْ عَالَمُنَا الْمُتَمَدْيِنُ فِلَسْطِينَ؛ فَإِنَّهُمْ سَيَجِدُونَ الْمُبَرِّرَاتِ الْكَثِيرَةَ لِعَدَمِ الْعَوْدَةِ إِلَيْهَا، أَوْ لِلِاكْتِفَاءِ بِهَا؛ لِمَاذَا؟

الْجَوَابُ: لِأَنَّهُمْ مِثْلُ الطُّفَيْلِيَّاتِ الَّتِي لَا تَعِيشُ إِلَّا عَلَىٰ غَيْرِهَا، هُمْ مَصَّاصُو الدِّمَاءِ!».

يَقُولُ هَذَا رَئِيسٌ أَمِرِيكِيٌّ وَاعٍ، لَمْ يَكُنْ مَاسُونِيًّا؛ وَهُوَ (بِنْيَامِين فَرَانْكِلِين)، وَيُوَجِّهُ ذَلِكَ لِلْأُمَّةِ الْأَمِرِيكِيَّةِ فِي حِينِهِ وَبَعْدَ حِينِهِ، يَقُولُ: هُمْ مَصَّاصُو الدِّمَاءِ، وَمَصَّاصُو الدِّمَاءِ لَا يَعِيشُونَ إِلَّا عَلَىٰ مَصَّاصِي دِمَاءٍ آخَرِينَ، فَهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَعِيشُوا فَقَطْ بَيْنَهُمْ أَوْ مَعَ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، إِنَّهُمْ لَا بُدَّ أَنْ يَعِيشُوا بَيْنَ النَّصَارَىٰ وَبَيْنَ الْآخَرِينَ الَّذِينَ هُمْ لَيْسُوا مِنْ جِنْسِهِمْ.

يَقُولُ (بِنْيَامِين فَرَانْكِلِين): «أَنَا أَتَّفِقُ تَمَامًا مَعَ الْجِنِرَالِ (جُورْج وَاشُنْطُن)؛ لِأَنَّنَا يَجِبُ أَنْ نَحْمِيَ هَذِهِ الْأُمَّةَ الْوَلِيدَةَ -يَعْنِي: الْوِلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةَ- مِنْ مُحَاوَلَاتِ

الِاخْتِرَاقِ وَالتَّأْثِيرِ الْمَاكِرِ، وَهَذَا التَّأْثِيرُ هُمُ الْيَهُودُ، فِي أَيِّ دَوْلَةٍ اسْتَوْطَنَهَا الْيَهُودُ بِأَعْدَادٍ كَبِيرَةٍ فَإِنَّهُمْ قَضَوْا فِيهَا عَلَىٰ الْأَخْلَاقِ، وَهَبَطُوا بِرُوحِهَا الْمَعْنَوِيَّةِ، وَإِذَا لَمْ يُمْنَعِ الْيَهُودُ مِنَ الْهِجْرَةِ إِلَىٰ الْوِلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ بِمُوجَبِ الدُّسْتُورِ الْأَمِرِيكِيِّ؛ فَفِي خِلَالِ مِائَتَيْ عَامٍ سَيُصْبِحُ حَفَدَتُنَا خَادِمِينَ وَعَامِلِينَ فِي مَزَارِعِهِمْ وَحُقُولِهِمْ، بَيْنَمَا هُمْ جَالِسُونَ فِي بُيُوتِ الْمَالِ يَفْرُكُونَ أَيْدِيَهُمْ فِي نَشْوَةٍ، وَسَيَحْكُمُونَنَا، وَيُدَمِّرُونَنَا، وَيُغَيِّرُونَ شَكْلَ الْحُكُومَةِ الَّتِي ضَحَّيْنَا وَبَذَلْنَا لِإِقَامَتِهَا بِدِمَائِنَا وَحَيَاتِنَا وَأَمْوَالِنَا وَحُرِّيَّتِنَا الْفَرْدِيَّةِ.

يَقُولُ: أَنَا أُحَذِّرُكُمْ -أَيُّهَا السَّادَةُ- إِذَا لَمْ تَمْنَعُوا الْيَهُودَ، وَتَتَجَنَّبُوهُمْ فِي جَمِيعِ الْأَزْمَانِ؛ فَسَيَلْعَنُكُمْ أَبْنَاؤُكُمْ فِي قُبُورِكُمْ، وَسَيَذْكُرُ الشَّعْبُ الْأَمِرِيكِيُّ كَلَامِي هَذَا».

وَلِلْأَسَفِ لَا يَذْكُرُهُ الشَّعْبُ الْأَمِرِيكِيُّ، وَلَنْ يَذْكُرَهُ، لَقَدْ تَسَلَّلَ الْيَهُودُ فَتَمَكَّنُوا، فَصَارَتِ الْوِلَايَاتُ الْمُتَّحِدَةُ الْيَهُودِيَّةُ!

يَقُولُ: «أَيُّهَا السَّادَةُ! دَعُوا الْيَهُودَ يُولَدُونَ أَيْنَمَا وُلِدُوا؛ حَتَّىٰ وَإِنْ وُلِدَتْ أَجْيَالُهُمْ أَبْعَدَ مَا يَكُونُ عَنْ آسْيَا فَلَنْ يَكُونُوا شَيْئًا آخَرَ، فَأَفْكَارُهُمْ لَا تَتَوَافَقُ وَلَا تَتَمَاشَىٰ مَعَ أَفْكَارِ الْأَمِرِيكَانِ؛ حَتَّىٰ وَلَوْ عَاشُوا وَسَطَنَا مَعَنَا لِعَشْرَةِ أَجْيَالٍ؛ فَالنَّمِرُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُغَيِّرَ جِلْدَهُ، وَالْيَهُودُ تَهْدِيدٌ لِهَذَا الْبَلَدِ إِذَا سُمِحَ لَهُمْ بِدُخُولِهِ، وَيَجِبُ أَنْ يُبْعَدُوا عَنْهُ بِوَاسِطَةِ هَذَا الدُّسْتُورِ»[1].

---

(١) «إسرائيل والتلمود - دراسة تحليلية» (ص: ١٤٢-١٤٣).

كَانَ ذَلِكَ فِي مُؤْتَمَرِ إِعْلَانِ الدُّسْتُورِ..

فِي هَذِهِ الْوَثِيقَةِ الْتَفَتَ (بِنْيَامِين فَرَانْكِلِين) لِخَطَرِ الْيَهُودِ، وَحَذَّرَ قَوْمَهُ مِنْ خَطَرِهِمْ، فَلَمْ يَلْتَفِتُوا لِتَحْذِيرِهِ، وَتَغَلْغَلَ أُولَئِكَ الصُّهْيُونِيُّونَ فِي ذَلِكَ الْمُجْتَمَعِ، ثُمَّ صَارُوا الْيَوْمَ كَأَنَّهُمْ يَحْكُمُونَ الْعَالَمَ عَلَىٰ حَسَبِ حُلْمِهِمُ الْقَدِيمِ، فَتَوَجَّهَ مَا تَوَجَّهَ مِنَ الْأَوَامِرِ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ حَيْثُ يَكُونُونَ، وَيَكُونُ حُلَفَاؤُهُمْ وَصَنَاؤُعُهُمْ تَتَوَجَّهُ أَوَامِرُهُمْ إِلَىٰ الْحُكُومَاتِ فِي الْعَالَمِ وَكَأَنَّهَا مِنْ بَعْضِ الْوِلَايَاتِ الَّتِي تَتْبَعُهُمْ؛ وَذَلِكَ كُلُّهُ لِأَنَّ الْجَمَاهِيرَ قَدْ غُيِّبَتْ؛ وَلِأَنَّ النَّاسَ قَدْ فُرِّغُوا مِنْ عَقَائِدِهِمْ -إِلَّا مَنْ رَحِمَهُ اللهُ جَلَّوَعَلَا-.

الْمُخَطَّطُ الصُّهْيُوصَلِيبِيُّ لِتَفْتِيتِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ

الَّذِينَ لَمْ يَقْرَؤُوا التَّارِيخَ يَظُنُّونَ مَا صَنَعَتْهُ أَمرِيكَا بِالْعِرَاقِ مِنِ احْتِلَالٍ وَتَقْسِيمٍ أَمْرًا مُفَاجِئًا جَاءَ وَلِيدَ الْأَحْدَاثِ الَّتِي أَنْتَجَتْهُ، وَأَنَّ مَا حَدَثَ فِي جَنُوبِ السُّودَانِ لَهُ دَوَافِعُ وَأَسْبَابٌ؛ وَلَكِنَّ الْحَقِيقَةَ الْكُبْرَىٰ أَنَّهُمْ نَسُوا أَنَّ مَا يَحْدُثُ الْآنَ هُوَ تَحْقِيقٌ وَتَنْفِيذٌ لِلْمُخَطَّطِ الِاسْتِعْمَارِيِّ الَّذِي خَطَّطَتْهُ وَصَنَعَتْهُ وَصَاغَتْهُ وَأَعْلَنَتْهُ الصُّهْيُونِيَّةُ وَالصَّلِيبِيَّةُ الْعَالَمِيَّةُ لِتَفْتِيتِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ، وَتَجْزِئَتِهِ، وَتَحْوِيلِهِ إِلَىٰ فُسَيْفِسَاءٍ وَرَقِيَّةٍ يَكُونُ فِيهَا الْكِيَانُ الصُّهْيُونِيُّ السَّيِّدَ الْمُطَاعَ، وَذَلِكَ مُنْذُ إِنْشَاءِ هَذَا الْكِيَانِ الصُّهْيُونِيِّ عَلَىٰ أَرْضِ فِلَسْطِينَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَتِسْعِ مِائَةٍ وَأَلْفٍ (١٩٤٨م).

وَعِنْدَمَا نَذْكُرُ الْوَثِيقَةَ الْخَطِيرَةَ لِـ(بِرْنَارْد لُويس) فَإِنَّنَا نَهْدُفُ إِلَىٰ تَعْرِيفِ الْمُسْلِمِينَ بِالْمُخَطَّطِ؛ خَاصَّةً الشَّبَابِ الَّذِينَ هُمْ عِمَادُ الْأُمَّةِ، وَصَانِعُو قُوَّتِهَا وَحَضَارَتِهَا وَنَهْضَتِهَا، وَالَّذِينَ تَعَرَّضُوا لِأَكْبَرِ عَمَلِيَّةِ غَسِيلِ مُخٍّ، يَقُومُ بِهَا فَرِيقٌ يَعْمَلُ بِدَأَبٍ لِخِدْمَةِ الْمَشْرُوعِ الصُّهْيُونِيِّ الْأَمرِيكِيِّ الصَّلِيبِيِّ؛ لِوَصْمِ تِلْكَ الْمُخَطَّطَاتِ بِأَنَّهَا مُجَرَّدُ نَظَرِيَّةِ الْمُؤَامَرَةِ، رَغْمَ مَا نَرَاهُ رَأْيَ الْعَيْنِ مَاثِلًا أَمَامَنَا مِنْ حَقَائِقَ فِي فِلَسْطِينَ، وَفِي الْعِرَاقِ، وَفِي السُّودَانِ، وَفِي لِيبْيَا، وَسُورِيَّا، وَالْيَمَنِ،

وَفِي أَفْغَانِسْتَان، وَالْبَقِيَّةُ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ إِذَا غَفَلْنَا؛ حَتَّىٰ لَا نَنْسَىٰ مَا حَدَثَ لَنَا وَمَا يَحْدُثُ الْآنَ، وَمَا سَوْفَ يَحْدُثُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، فَيَكُونُ دَافِعًا لَنَا عَلَىٰ الْعَمَلِ وَالْحَرَكَةِ لِوَقْفِ الطُّوفَانِ الْقَادِمِ.

صَاحِبُ مُخَطَّطِ التَّقْسِيمِ -تَقْسِيمِ الْمَنْطِقَةِ-، وَهُوَ الْمُخَطَّطُ الَّذِي اعْتَمَدَتْهُ الْخَارِجِيَّةُ الْأَمِرِيكِيَّةُ وَالْإِدَارَةُ الْأَمِرِيكِيَّةُ؛ صَاحِبُ الْمُخَطَّطِ هُوَ (بِرْنَارْد لُوِيس) الْعَرَّابُ الصُّهْيُونِيُّ، أَعْدَىٰ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ، حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ الْعَصْرِ الْحَدِيثِ، صَاحِبُ أَخْطَرِ مَشْرُوعٍ فِي هَذَا الْقَرْنِ -فِي الْقَرْنِ الْعِشْرِينَ-؛ لِتَفْتِيتِ الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ وَالْإِسْلَامِيِّ مِنْ بَاكِسْتَانَ إِلَىٰ الْمَغْرِبِ، وَالَّذِي نَشَرَتْهُ مَجَلَّةُ وَزَارَةِ الدِّفَاعِ الْأَمِرِيكِيَّةِ.

هَذَا الصُّهْيُونِيُّ الْعَتِيدُ وَضَعَ ذَلِكَ الْمُخَطَّطَ، وَلَهُ تَفَاصِيلُ أَكْتَفِي بِمَا يَتَعَلَّقُ بِمِصْرَ -حَفِظَهَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ-، فَفِيمَا يَخُصُّ مِصْرَ تُقَسَّمُ إِلَىٰ أَرْبَعِ دُوَيْلَاتٍ:

* **سَيْنَاءُ، وَشَرْقُ الدِّلْتَا تَحْتَ النُّفُوذِ الْيَهُودِيِّ**؛ لِيَتَحَقَّقَ حُلْمُ الْيَهُودِ مِنَ النِّيلِ إِلَىٰ الْفُرَاتِ.

* **الدُّوَيْلَةُ الثَّانِيَةُ: الدُّوَيْلَةُ النَّصْرَانِيَّةُ عَاصِمَتُهَا الْإِسْكَنْدَرِيَّةُ**، تَمْتَدُّ مِنْ جَنُوبِ بَنِي سُوَيْف حَتَّىٰ جَنُوبِ أَسْيُوط، وَتَتَّسِعُ غَرْبًا لِتَضُمَّ الْفَيُّومَ، وَتَمْتَدُّ فِي خَطٍّ صَحْرَاوِيٍّ عَبْرَ وَادِي النَّطْرُون؛ لِيَرْبِطَ هَذِهِ الْمَنْطِقَةَ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ، وَقَدِ اتَّسَعَتْ لِتَضُمَّ -أَيْضًا- جُزْءًا مِنَ الْمَنْطِقَةِ السَّاحِلِيَّةِ الْمُمْتَدَّةِ حَتَّىٰ مَرْسَىٰ مَطْرُوح.

* **الدُّوَيْلَةُ الثَّالِثَةُ: دُوَيْلَةُ النُّوبَةِ**، تتكَامَلُ مَعَ الْأَرَاضِي الشَّمَالِيَّةِ السُّودَانِيَّةِ،

عَاصِمَتُهَا أَسْوَان، وَتَرْبِطُ الْجُزْءَ الْجَنُوبِيَّ الْمُمْتَدَّ مِنْ صَعِيدِ مِصْرَ حَتَّىٰ شَمَالِ السُّودَانِ بِاسْمِ بِلَادِ النُّوبَةِ بِمَنْطِقَةِ الصَّحَرَاءِ الْكُبْرَىٰ؛ لِتَلْتَحِمَ مَعَ الدَّوْلَةِ الْبَرْبَرِ الَّتِي سَوْفَ تَمْتَدُّ مِنْ جَنُوبِ الْمَغْرِبِ حَتَّىٰ الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ.

* **وَأَمَّا مِصْرُ الْإِسْلَامِيَّةُ فَتَكُونُ عَاصِمَتُهَا الْقَاهِرَةَ**، وَهِيَ الْجُزْءُ الْمُتَبَقِّي مِنْ مِصْرَ، يُرَادُ لَهَا أَنْ تَكُونَ -أَيْضًا- تَحْتَ النُّفُوذِ الْإِسْرَائِيلِيِّ الْيَهُودِيِّ؛ حَيْثُ تَدْخُلُ فِي نِطَاقِ إِسْرَائِيلَ الْكُبْرَىٰ الَّتِي يَطْمَعُ الْيَهُودُ فِي إِنْشَائِهَا!

لَا جَدِيدَ تَحْتَ الشَّمْسِ، كُلُّ مَا يَحْدُثُ كَانَ مَعْلُومًا سَابِقًا، لَيْسَ هُوَ بِالشَّيْءِ الْجَدِيدِ، كُلُّهُ مَعْلُومٌ، وَكُلُّهُ وَاضِحٌ، وَالتَّخْطِيطُ لَهُ كَانَ عَلَىٰ قَارِعَةِ الطَّرِيقِ، لَمْ يَكُنْ فِي الْكُهُوفِ الْمُظْلِمَةِ، وَتَنْفِيذُهُ يَتِمُّ تَحْتَ أَعْيُنِ الْجَمِيعِ.

أَلَا تَرَوْنَ؟!

أَلَا تَسْمَعُونَ؟!

وَلَكِنْ مَاذَا تَصْنَعُونَ؟!

لَا شَيْءَ!!

كَثْرَةٌ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ؛ سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّىٰ تَرْجِعُوا إِلَىٰ دِينِكُمْ**»(١).

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٤٦٢)، والبزار (٥٨٨٧)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٢٤١٧)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٣٤٦٢) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

وَالنَّبِيُّ ﷺ يَذْكُرُ تَدَاعِيَ الْأُمَمِ كَمَا يَحْدُثُ الآنَ، هَذِهِ الدُّوَلُ الْغَرْبِيَّةُ مَعَ أَمرِيكَا تَتَدَاعَىٰ عَلَىٰ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ كَتَدَاعِي الْأَكَلَةِ إِلَىٰ قَصْعَتِهَا، هَلُمُّوا هَلُمُّوا إِلَىٰ الثَّرِيدِ وَاللَّحْمِ بِغَيْرِ مَشَقَّةٍ وَلَا تَعَبٍ وَلَا عَنَاءٍ، «**يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَىٰ عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَىٰ الْأَكَلَةُ إِلَىٰ قَصْعَتِهَا** -أَوْ: **عَلَىٰ قَصْعَتِهَا**-».

فَقَالَ قَائِلٌ: «وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟».

فَقَالَ: «**بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ**».

فَقَالَ قَائِلٌ: «يَا رَسُولَ اللهِ! وَمَا الْوَهْنُ؟».

قَالَ: «**حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ**»(١).

الْأَمْرُ وَاضِحٌ... نَسْأَلُ اللهَ حُسْنَ الْخِتَامِ.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

الْجُمُعَة
١٢ مِنْ رَبِيعٍ الثَّانِي ١٤٤٥هـ
المُوافق: ٢٧-١٠-٢٠٢٣م

وَكَتَبَ:
أَبُو عَبْدِ اللهِ
مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ رَسْلَانَ
-عَفَا اللهُ عَنْهُ وَعَنْ وَالِدَيْهِ-

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٩٧)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٤٢٩٧) من حديث ثوبان مولىٰ رسول الله ﷺ.

الْفهْرِسُ

الْمُقَدِّمَةُ..... ٣
ذِكْرُ سَيْنَاءَ الْمُبَارَكَةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ..... ٤
جَبَلُ الطُّورِ نَوَاةُ سَيْنَاءَ الصُّلْبَةُ ١٣
سَيْنَاءُ أَكْثَرُ مِنْ ثُلُثِ مِصْرَ عُمْقًا! ١٥
أَهَمِّيَّةُ سَيْنَاءَ لِجُغْرَافِيَةِ مِصْرَ كُلِّهَا ١٧
هَلْ سَيْنَاءُ أَفْرِيقِيَّةٌ أَمْ آسِيَوِيَّةٌ؟..... ١٨
* **الْخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:**..... ٢١
الْحَرْبُ عَلَىٰ الْأُمَّةِ فِي عَقِيدَتِهَا وَتَارِيخِهَا وَقِيَمِهَا ٢١
تَحْذِيرُ الرَّئِيسِ الْأَمِرِيكِيِّ فَرَانْكِلِين مِنْ خَطَرِ الْيَهُودِ..... ٢٣
الْمُخَطَّطُ الصُّهْيُوصَلِيبِيُّ لِتَفْتِيتِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ ٢٧